# القراءات القرآنية المنسوبة لأئمة أهل البيت في (التبيان في تفسير القرآن) للطوسي (ت460هـ) – دراسة تحليلية–

**بحث مستل من رسالة ماجستير بعنوان**

**منهج الطوسي ت460هـ في توجيه القراءات القرآنية في كتابه**

**التبيان في تفسير القرآن**

**رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير لإعداد المعلم في الآداب**

**تخصص لغة عربية ودراسات إسلامية**

**إعداد**

**الباحث: محمد محمود نبيل محمدمبروك**

**(المعيد بالقسم)**

**إشراف**

**د.جمال محمد طلبة**

**أستاذ علم اللغة المساعد – كلية تربية– جامعة عين شمس**

**المستخلص**

إن القراءات القرآنية لها أثر كبير في إيضاح المعنى التفسيري للآيات القرآنية، سواء أكانت قراءات متوترة، أو قراءات شاذة مروية عن طريق الآحاد، وقدتناولت هذه الدراسة البحث في القراءات القرآنية المنسوبة لأئمة أهل البيت عند أبي جعفر الطوسي - شيخ الطائفة الإمامية-في تفسيره التبيان، وهو من المكثرين في إيراد هذا النمط من القراءات في تفسيره، وقد سبقت الدراسة بتمهيد عن مكانة أبي جعفر الطوسي العلمية، وقيمة كتابه (التبيان في تفسير القرآن)، الذي امتاز بالعناية الكبيرة بالقراءات القرآنية المتواترة والشهادة.

وقدتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: إن بعض القراءات التي نسبها الطوسي لأئمة أهل البيت، ذكرها أصحاب القراءات من اللغويين القدماء كابن جني (ت 392ه)،ويتبع الطوسي طريقا في نقل قراءة أهل البيت، يتمثل في روايتها جنبًا إلى جنب مع القراءة المتواترة أو القراءة الصحيحة المنسوبة للصحابة،ولم يصرح الطوسي بشذوذ القراءات التي رواها منسوبة لأئمة أهل البيت تأثرًا بمذهبه الإمامي.

## Abasterct

Qur’an readings have great contribution/influence in facilitating and clarifying the Tafsir meaning for Qur’an verses, whether the reading is frequent/common (narrated by groups/generations after groups/generations) or abnormal (i.e., narrated by individuals after individuals). The study in hand is focused on researching the Qur’an readings attributed to the Imams of Ahl al-Bayt (members of Prophet Muhammad Household) as defined by Abu-Jaafar Al-Tusi, the sheikh of Imamya mazhab/school, in his Tafsir known as “Tibyan”. Al-Tusi is known to be one of those who used to increasingly incorporate that type of Qur’an readings (i.e., these attributed to the Imams of Ahl al-Bayt) in his Tafsir. This study starts with a brief introduction on the scholarly stature of Abu-Jaafar and the value of his book, “The Tibyan in Tafsir for Qur'an " which is characterized with its great attention to both frequent/common and abnormal Qur’an readings. This study concluded some interesting findings. Among them is that certain readings that were attributed to Ahl al-Bayt by Al-Tusi, were mentioned by the former linguistic scholars of Qur’an readings such as Ibn-Jiny (who died in the year 392 Hijri). Al-Tusi followed a particular methodology for narrating the readings of Ahl Al-Bayt through citing these readings along with the righteous frequent/common readings narrated by Prophet Muhammad Companions, whist he, Al-Tusi, did not use to highlight/mention the abnormality of these readings influenced by his mazhab (school) of Imamya.

**الكلمات المفتاحية:** (الطوسي – التبيان - قراءات- قرآن – أهل البيت )

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، أما بعد...

يعد أبو جعفر الطوسي من المفسرين الذين أعطوا القراءات القرآنية عناية كبيرة في تفسيره (التبيان في تفسير القرآن)، وخاصة القراءات القرآنية المنسوبة لأئمة أهل البيت، فهو شيخ الطائفة الإمامية الإثني عشرية، وقد أورد في تفسيره التبيان عددًا كبيرًا من قراءات أهل البيت، وغالبًا ما يصدرها بقوله "وفي قراءة أهل البيت".

وفي هذا البحث سأتناول بالوصف والتحليل القراءات التي أوردها الطوسي مروية عن أهل البيت، وسأوضح الطريقة التي وظّف بها الطوسي هذه القراءات في تفسير وإيضاح بعض المعاني القرآنية.

**أهداف البحث:**

1- بيان منهج الطوسي في إيراد القراءات القرآنية المنسوبة لأئمة أهل البيت.

2- محاولة تحديد أثر القراءات القرآنية المنسوبة لأئمة أهل البيت في التفسير، ومدى اعتماد الطوسي عليها في تفسير معاني الآيات.

3- الكشف عن الطريقة التي وظف بها الطوسي قراءات أهل البيت في التفسير.

4- بيان مدى تأثر الطوسي بمذهبه عند توجيه القرءات المنسوبة لأئمة أهل البيت.

**أسباب اختيار الموضوع وأهميته:**

1- إن صاحب هذا التفسير إمام جليل متبحر في علوم كثيرة، منها علم القراءات القرآنية وتوجيهها بصورة فريدة تدل على سعة علمه، ويزيد على ذلك إنه شيخ الطائفة الإمامية، وتفسيره (التبيان) معتمد لكثير من مصنفي السنة والشيعة، وخاصة في توثيق القراءات القرآنية.

2- اشتمال تفسير (التبيان) للطوسي على مادة علمية مفيدة من القراءات المنسوبة لأئمة أهل البيت تستحق الدراسة والبحث.

3- قلة الدراسات العلمية حول القراءات المنسوبة لأهل البيت، وإنه من الإنصاف العلمي أن يكون لهذا النوع من القراءات حيز للدراسة، ولا تبقي دفينة في مصادرها –بغض النظر عن اعتقاد الباحث في هذه القراءة–.

**منهج البحث:**

سيعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى نتائح الدراسة.

**خطة البحث:**

قد قسمت البحث إلى:

- **مقدمة:** وتشمل أهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع وأهميته، والمنهج المتبع.
- **تمهيد:**

أولًا: تعريف موجز بأبي جعفر الطوسي، وكتابه (التبيان في تفسير القرآن).

ثانيا: موقف أبي جعفر الطوسي من تناول القرءات المنسوبة لأئمة أهل البيت، إزاء موقف الغلاة من الشيعة تجاه هذا النمط من القراءات.

**ومبحثين:**

- المبحث الأول: قراءات أهل البيت التى أدخلها الطوسي في التفسير، دون التأثر بمذهبه الشيعي.
- المبحث الثاني: قراءات أهل البيت التي وجهها الطوسي متأثرا بمذهبه، والقراءات التي ذكرها الطوسي استئناسا دون تعقيب عليها.
- **الخاتمة:** وفيها أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وقائمة المصادر والمراجع.
-

## تمهيد:

## الطوسي: حياته وكتابه، وموقفه من القراءات المنسوبة لآل البيت

### أولًا- تعريف موجز بأبي جعفر الطوسي[i]، وكتابه (التبيان في تفسير القرآن):

هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، الملقّب بالطوسيّ نسبةً إلى مدينة طوس بخراسان، وهي من المدن الشهيرة بكونها مركزاً دينياً وعلمياً.

ولد الطوسي في شهر رمضان سنة (385هـ)، ونشأ في طوس، وقضى فيها شبابه، وتلقّى تعليمه الأوّلي، ثم رحل إلى بغداد سنة(408هـ)، إذ كانت في ذلك الوقت منارة للعلم والعلماء.

تتلمذ أبو جعفر الطوسي على كبار شيوخ وعلماء عصره، ومن أشهرهم: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بابن المعلّم والملقّب بالشيخ المفيد (ت413هـ)، فقيه الشيعة وأستاذهم، فقد كان له مجلسٌ في الفقه وعلوم الشريعة وعلم الكلام وغيرها.

وبعد وفاة الشيخ المفيد انتقل إلى مجلس علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى (ت436هـ)، ولازمه زمنًا طويلًا.

ولما توفى المرتضى انتقلت رئاسة المجالس العلمية إلى الطوسي نفسه، وصارت داره مقصدًا لطلاب العلم من مختلف الطوائف الإسلامية، ولقّب بشيخ الطائفة الإمامية وعدّتها.

وتتلمذ على يديه الكثير من طلبة العلم في عصره، وكان من أشهرهم: ابنه أبو علي الحسن بن محمد الطوسي المتوفى سنة 515هـ، وخلف أباه في الإمامة والتدريس، وهو من جملة من احتفظ برواية صحيحة لتفسير التبيان، ومن تلاميذه الكبار -أيضًا- أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري، نزيل الري، ومن مؤلفاته: الآمالي في الأخبار، والروضة في الفقه، والمفتاح في الأصول.

وقد عاش الطوسي عصرًا مليئًا بالصراعات الفكرية بين أصحاب المذاهب الإسلامية، ولما اشتدت الاضطرابات اضطر للسفر إلى مدينة النجف، فازدهرت على إثر ذلك مدينة النجف، وصارت محطّ رجال العِلم من كلّ مكان، وصارت مُتخصّصة بدراسة التفسير والفقه والحديث والأصول والعلوم الإسلامية الأخرى.

وظلّ الطوسي في النجف يُدَرِّس ويُملي محاضراته بصورة منتظمة حتى تُوفي سنة (460هـ).

وقد ترك الطوسي مؤلفات جمَّة تحتل مكانة سامية، فهي بمثابة خلاصة الكتب اللغوية والتفسيرية والفقهية والكلاميةّ القديمة، ومن أشهر هذه المؤلفات: تفسيره: **التبيان في تفسير القرآن**، وهو من أهم كتبه وأشهرها، وعليه مدار درس هذا البحث، و**تهذيب الأحكام**، وهو من كتب الأصول القديمة المُعوَّل عليها لدى الشيعة، و**الفهرست**، الذي ذكر فيه أصحاب الكتب والأصول الذين سبقوه وعاصروه.

ولعل كثرة من ترجم للشيخ الطوسي أعفى عن التفصيل والإطالة في ذكر حياته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته.

**القيمة العلمية لكتاب (التبيان في تفسير القرآن)**

يعد هذا التفسير من أشهر كتب الطوسي وأكثرها تميزًا، فقد جعله على أبوابٍ منفردةٍ يَختصُّ كلٌّ منها بواحدٍ من مباحث التفسير وعلوم القرآن، كالقراءات وحُججها والمعاني والإعراب واللغة وأسباب النزول وغيرها[ii].

وتفسير التبيان من التفاسير التي عنيت عناية فائقة بالقراءات القرآنية وتوجيهها؛ فقد أورد الطوسي مادة علمية كبيرة من القراءات المتواترة والشاذة وقراءات الصحابة والتابعين والقراءات المنسوبة لأئمة أهل البيت، ووظّف الطوسي كل هذه الأنماط من القراءات القرآنية في تفسير وإيضاح المعاني القرآنية.

وقد اعتمدت بعض التفاسير على **التبيان**، مثل: **مجمع البيان**، للطبرسي (ت: 548هـ)[iii]، الذي استقى منه جل مادته، ويزيد على ذلك ماورد من نقولٍ[iv] عن **التبيان** متناثرة في التفاسير الأخرى، مثل: **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي (ت: 745)[v]، وروح **المعاني**، لشهاب الدين الألوسي (ت: 1270هـ)[vi].

**ثانيًا– موقف أبي جعفر الطوسي من تناول القرءات المنسوبة لأئمة أهل البيت، إزاء موقف الغلاة من الشيعة تجاه هذا النمط من القراءات.**

إن الحديث عن القراءات القرآنية المنسوبة لأئمة أهل البيت يتصل اتصالًا وثيقًا بأصل من أصول العقيدة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ألا وهي نظرية الإمامة[vii]، وقد امتلأت تفاسير الشيعة الاثنى عشرية بالقراءات المنسوبة لأئمة أهل البيت، فلم تقف نظرة الشيعة في أخذ التفسير عن الأئمة من آل البيت، ونسبته إليهم، بل ورد في تفاسيرهم قراءات قرآنية منسوبة لأئمة أهل البيت، وقد انقسمت هذه التفاسير إلى قسمين[viii]:

**القسم الأول:** تفاسير اعتمدت على المأثور من الأخبار التي ينسبونها إلى الأئمة من آل البيت، مثل: التفسير المنسوب للحسن العسكري، وتفسير علي بن إبراهيم القمي، وتفسير الكاشاني، وتفسير البرهان للبحراني، واتسمت هذه التفاسير بخلوها من مباحث اللغة، كما اتسمت بالغلو في التشيع إلى حد لا يستساغ عقلًا، حيث يحملون آيات القرآن كلها إما على الأئمة من آل البيت، إن كانت تحمل مدحًا، أو على مخالفيهم إن كانت تحمل قدحًا.

كما اتخذوا من القراءات المروية عن أهل البيت مدخلًا لإثبات دعوى تحريف القرآن، باعتبارها قراءات الأئمة المعصومين، وهي الصواب، وماعداها من قراءات مخالف للصواب، وماهو إلا اجتهاد من القراء.

والواقع أن القراءات القرآنية المروية عن أهل البيت يمكن فهمها فهمًا لا يتعارض مع عصمة القرآن عن التحريف، فكل هذه القراءات يمكن حملها على القراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف، أو القراءات التفسيرية. يقول أبو حيان: "وَيَنْبَغِي حمل هذه

القراءات عَلَى التَّفْسِيرِ، لَا أَنَّهَا قُرْآنٌ لِمُخَالَفَتِهَا سَوَادَ الْمُصْحَفِ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"[ix]

وهذه الروايات وإن وردت عن أئمة أهل البيت، إلا إن في أسانيدها مقالات، وأكثر رجالها من الضعفاء[x].

**أما القسم الثاني:** تفاسير اعتمدت على معطيات اللغة ومدلولاتها، مثل: تفسير التبيان لأبي جعفر الطوسي، وكذلك تفسير مجمع البيان للطبرسي، وقد اتسمت هذه التفاسير بالحد من الغلو في التشيع، ويمثلان مذهب الاعتدال، ومذهبهم هو عصمة القرآن الكريم من التحريف، وأنه خال من أي زيادة منزه عن أي نقصان؛ لذلك اعتمدوا في القراءات الواردة عن أهل البيت على ألفاظها وماتعطيه من معانٍ لغوية في تفسير الآيات، وهو ما سيتضح لنا من خلال عرض القراءات القرآنية المنسوبة لأهل البيت، التي أوردها أبو جعفر الطوسي في تفسيره: التبيان.

## المبحث الأول

## قراءات أهل البيت التى أدخلها الطوسي في التفسير، دون التأثر بمذهبه الإمامي

عند التتبع والاستقراء للقراءات القرآنية المنسوبة لأهل البيت التي أوردها الطوسي في تفسيره، نجد قراءات منسوبة لأهل البيت أدخلها الطوسي في تفسيره، وأفاد منها في إيضاح المعنى، ولم نلحظ فيها أى تعصب لمذهبه أوتأثر به، ومن أمثلة ذلك:

**النموذج الأول**– قراءة: (مسلِمون) بالتشديد[xi]، من قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]

قال الطوسي: "وروي عن أبي عبد الله"[xii] (ع) (وأنتم مسلمون) بالتشديد، ومعناه إلا وأنتم مستسلمون لما أتى به النبي ﷺ ومنقادون له"[xiii].

يتبين لنا من النص السابق أن الطوسي أدخل القراءة المروية عن الإمام جعفر الصادق في تفسير وإيضاح معنى الآية القرآنية، ولم يكن هناك أي تأثر بمذهبه.

**النموذج الثاني**– قراءة (يسألونك الأنفال) [xiv] من قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]

***قال الطوسي: "وفي قراءة أهل البيت: (يسألونك الأنفال)، فأنزل الله (تعالى) قوله: "قل الأنفال لله والرسول"، ولذلك قال: "فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم"، ولو سألوه عن موضع الاستحقاق، لم يقل لهم: اتقوا الله"[xv]، ثم يبين ويؤكد أثرها في المعنى، فيقول: "وقالوا معنى (عن) –ها هنا– معنى (من)، وكان ابن مسعود يقرأه (يسألونكم***

***الأنفال) على هذا التأويل، وهذا مثل ما رويناه عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام)"*** [xvi].

نلحظ في النص السابق توجيه الطوسي لمعنى قراءة أهل البيت، واستشهاده بالقراءة المروية عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، ونقل عن الطبري –دون التصريح بالنقل عنه– بأن معنى (عن) في الآية الكريمة معنى (من) [xvii].

وقد وجّه ابن جني (ت392هـ) هذه القراءة فقال: "هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي: (عَنِ الْأَنْفَالِ)، وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضًا لطلبها، واستعلامًا لحالها: هل يسوغ طلبها؟، وهذه القراءة بالنصب إصراح بالتماس الأنفال، وبيانٌ عن الغرض في السؤال عنها"[xviii].

**النموذج الثالث**– قراءة (جاهد الكفار بالمنافقين)[xix]: من قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[التوبة: 73]

قال الطوسي: "وروي في قراءة أهل البيت (عليهم السلام): (جاهد الكفار بالمنافقين)"[xx].

وقد أفاد منها في المعنى في موضع سورة التحريم؛ حيث قال: "وفي قراءة أهل البيت: (جاهد الكفار بالمنافقين)؛ لأنه (صلى الله عليه وآله) كان يجاهد الكفار وفي عسكره جماعة من المنافقين يقاتلون معه"[xxi].

وقد انفرد الطوسي بهذا التأويل للآية استنادًا للقراءة المروية عن أهل البيت، وبالرجوع إلى قول جمهور المفسرين[xxii] نجد أنهم قالوا: إن جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين بإغلاظ القول عليهم باللسان وإقامة الحجة عليهم.

وقد أنكر الألوسي هذه القراءة – جاهد الكفار بالمنافقين فقال: "والظاهر أنها لم تثبت، ولم يروها إلا الشيعة، وهم بيت الكذب"[xxiii]

**النموذج الرابع**– قراءة (وعلى الذين خالفوا) [xxiv] من قوله (تعالى): ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118]

قال الطوسي: "وفي قراءة أهل البيت (عليهم السلام): (خالفوا)، قالوا: لأنهم لو خلفوا لما توجه عليهم العتب"[xxv]

يتبين لنا من النص السابق توجيه الطوسي لمعنى القراءة المنسوبة لأهل البيت، بسياق الآيات، فقد احتج لقراءة أهل البيت: (خالفوا)؛ لأن سياق الآيات توجيه العتب لهم، وقد وجّه ابن جني (ت392هـ) قراءة: (خالفوا) بمثل ذلك فقال: "من قرأ: "خَلَفُوا" فتأويله: أقاموا ولم يبرحوا، ومَن قرأ: "خالَفُوا" فمعناه عائد إلى ذلك، وذلك أنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلفوا"[xxvi].

**النموذج الخامس**– قراءة: (له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه) [xxvii]من قوله (تعالى):﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (سورة الرعد، من الآية 11)

قال الطوسي: "وفي قراءة أهل البيت: (له معقبات من خلفه ورقيب بين يديه)، قالوا: لأن المعقب لا يكون إلا من خلفه"[xxviii].

فقد وجه الطوسي القراءة المنسوبة لأهل البيت توجيهًا يرتبط بالمعنى، وهو ما أشار إليه الإمام الطبري في تفسيره: أن من معاني المعقبات في هذه الآية: الحرس الذي يتعاقب على الأمير، وهم يحفظونه بأمر الله[xxix].

وكذلك قراءة: (يحفظونه بأمر الله) [xxx]، قال الطوسي:" قال الحسن وقتادة: المعنى بأمر الله، كما تقول: جئتك من دعائك إياي، أي: بدعائك، وفي قراءة أهل البيت: (بأمر الله)" [xxxi].

فقد استشهد الطوسي بالقراءة المنسوبة لأهل البيت؛ ليؤكد بها المعنى التفسيري

**النموذج السادس**– وهو مما أدخله في التفسير وأفاد به في المعنى، قراءة: (ونادى نوح ابنهَ)، (ونادى نوح ابنها) [xxxii]، من قوله (تعالى):﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾(سورة هود، الآية 42)

قال الطوسي:" وروي عن علي (عليه السلام) أنه قرأ: (ونادى نوح ابنها)، فنسبه إلى المرأة، وأنه كان يربيه، وروي عن محمّد بن علي بن الحسين (عليهم السلام) وعروة بن الزبير أنهما قرءا: (ونادى نوح ابنه)، بفتح الهاء وترك الألف، كراهة ما يخالف المصحف، وأرادا أن ينسباه إلى المرأة، وأنه لم يكن ابنه لصلبه"[xxxiii]

يتبين لنا من النص السابق توجيه الطوسي للقراءة المنسوبة لأحد أئمة أهل البيت تبعًا للمعنى، فقراءة: (ونادى نوح ابنها) وجهت بأنه لم يكن من صلبه، وإنما كان ابنًا لزوجة نوح (عليه السلام). ويقول ابن جني: "أما "ابنَهَ" فإنه أراد ابنها، كما يُروى عن عروة فيما قرأ: (ابنها)؛ يعني: ابن امرأته؛ لأنه قد جرى ذكرها في قوله (سبحانه): (وَأَهْلَكَ) [xxxiv]

**النموذج السابع**– قراءة: (تبينت الإنس أن لو) [xxxv]، من قوله (تعالى):﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سورة سبأ، الآية 14).

قال الطوسي: "في قراءة أهل البيت: (فلما خر تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)، قالوا: لأن الجن كانت تعلم أنها لا تعلم الغيب قبل ذلك، وإنما تبينت الإنس ذلك من حال الجن"[xxxvi].

ففي النص السابق أفاد الطوسي من القراءة المنسوبة لأهل البيت في إيضاح المعنى التفسيري للآية، فمعناها أن الإنس تبينت من حال الجن أنهم لا يعلمون الغيب،

وقد ورد عند بعض المفسرين[xxxvii] أن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه كان يقرأها: (تبينت الإنس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) على وجه التفسير.

## المبحث الثاني

## (قراءات أهل البيت التي وجهها الطوسي متأثرا بمذهبه، والقراءات التي ذكرها الطوسي استئناسا دون تعقيب عليها)

أدخل الطوسي في تفسيره قراءات منسوبة لأهل البيت، وأفاد منها في المعنى، وظهر فيها تأثره بمذهبه الإمامي، ومن ذلك:

**النموذج الأول**– قراءة (وآل محمد على العالمين) [xxxviii]: من قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(سورة آل عمران، الآية 33)

قال الطوسي: "وفي قراءة أهل البيت: "وآل محمد على العالمين" [xxxix]. ثم فسرها بقوله: "إن آل إبراهيم: هم آل محمد الذين هم أهله، وقد بينا فيما مضى أن الآل بمعنى الأهل، والآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزهون؛ لأنه لا يختار ولا يصطفي إلا من كان كذلك، ويكون ظاهره وباطنه واحدًا، فإذًا يجب أن يختص الاصطفاء بآل إبراهيم وآل عمران من كان مرضيًا معصومًا سواء كان نبيًا أو إمامًا"[xl].

يتبين لنا من النص السابق تأثر الطوسي بمذهبه واعتقاده في الإمامة، فهو شيخ الطائفة الإمامية الاثني عشرية، فقد انفرد الطوسي بهذا التأويل للآية أن آل إبراهيم: هم آل محمد، وقد فسرها الطبري[xli] أن المراد بالآية: أن الله اصطفي المؤمنين من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد، وذكر الواحدي[xlii] أن المراد بآل إبراهيم: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

**النموذج الثاني**– قراءة: (واجعل لنا من المتقين إمامًا) [xliii] من قوله (تعالى):﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان، الآية 74)

قال الطوسي: "وقوله: (واجعلنا للمتقين إمامًا)، أي: يسألون الله (تعالى) أن يجعلهم ممن يقتدى بأفعالهم في الطاعات، وفي قراءة أهل البيت (ع): (اجعل لنا من المتقين إمامًا)" [xliv].

ففي النص السابق يشير الطوسي – من خلال استشهاده بقراءة أهل البيت– إلى أصل من أصول الاعتقاد عند الشيعة الإمامية، وهي نظرية الإمامة، ولكنه لم يصرح به، وربما يكون ذلك من قبيل التقيّة[xlv].

**وأورد الطوسي قراءات منسوبة لأئمة أهل البيت في ثنايا تفسيره للآيات، ويذكرها مقترنة بالقراءات المتواترة أو قراءات الصحابة، وذلك على سبيل الاستئناس دون تعقيب عليها، ومن ذلك:**

**النموذج الأول**– قراءة: (صراط من أنعمت عليهم) [xlvi] من قوله (تعالى): ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾(سورة الفاتحة، الآية7)

قال الطوسي: "وقرأ صراط من أنعمت عليهم: عمر بن الخطاب وعبد الله بن زبير، وروي ذلك عن أهل البيت (عليهم السلام)، والمشهور الأول"[xlvii].

**النموذج الثاني**– قراءة: (ولا تَسألْ) [xlviii]، بفتح التاء وجزم اللام، من قوله (تعالى): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (سورة البقرة، الآية 116)

قال الطوسي: "قرأ نافع: "لا تسأل"، بفتح التاء وجزم اللام، على النهي، وروي ذلك عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع)، وابن عباس"[xlix]

**النموذج الثالث**– قراءة: (مؤمَنًا) [l] من قوله (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ (سورة النساء، من الآية 94)

قال الطوسي: "وقرئ من طريق النهرواني[li] لست مؤمنًا، بفتح الميم الثانية، والباقون بكسرها،وبه قرأ أبو جعفر محمد بن علي (ع)" [lii]

**النموذج الرابع**– قراءة: (أن يضعن من ثيابهن) [liii] من قوله (تعالى): ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النور، الآية 60)

قال الطوسي: "وفي قراءة أهل البيت (ع): {أن يضعن من ثيابهن}، وبه قرأ أبي"[liv].

بعد هذا العرض للقراءات القرآنية التي أوردها الطوسي منسوبة لأئمة أهل البيت –نجد أنه لم يصرح بشذوذها في أي موضع، وهي قراءات شاذة وردت عن طريق الآحاد، وهو ما يصل بالباحث إلى قول: إن الطوسي لم يكن موضوعيًا في الحكم على القراءات المروية عن أئمة أهل البيت، ولعل مرد ذلك إلى تأثره بمذهبه الإمامي.

## الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث نوجز أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة:

1- وظَّف الطوسي القراءات المنسوبة لأئمة أهل البيت في إيضاح بعض المعاني القرآنية؛ فهي قراءات تفسيرية شارحة للنص القرآني.

2- بعض القراءات النى نسبها الطوسي لأئمة أهل البيت، ذكرها أصحاب القراءات من اللغويين القدماء ولا سيما ابن جني (ت392هـ) واحتجَّ لها.

3- يتبع الطوسي –أحيانًا– طريقًا في نقل قراءة أهل البيت، يتمثل في روايتها جنبًا إلى جنب مع القراءة المتواترة أو القراءة الصحيحة المنسوبة للصحابة الكرام.

4- لم يصرح الطوسي بشذوذ القراءات التي رواها عن أهل البيت – وهي قراءات رويت عن طريق الآحاد–؛ مما يجعلنا نحكم بعدم موضوعيته، وتأثره بمذهبه الإمامي في تناول هذا النمط من القراءات على وجه العموم.

5- يمثل الطوسي مذهب الاعتدال والحد من الغلو في التشيع خلال تناول القراءات المنسوبة لأئمة أهل البيت.

6- عزا الطوسي معظم القراءات المروية عن أهل البيت، عزو إجمال، ولم ينسبها إلى إمام بعينه إلا نادرًا.

7- ذكر الطوسي بعض قراءات أهل البيت دون تعليق، وإنما ذكرها استئناسا.

8- انفرد الطوسي ببعض التأويلات من خلال روايته لقراءات أئمة أهل البيت.

## الحواشي:

[i]انظر ترجمته في: 1- منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم – دراسة لغوية نحوية بلاغية –: د/ كاصد ياسر الزيدي، ص9-30، ط1، بيت الحكمة، بغداد، 2004م، 2- حياة الشيخ الطوسي من مقدمة (التبيان في تفسير القرآن): آغا بزرك الطهراني، 3- البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي: ابتهال كاصد ياسر الزيدي، ص 1-6، رسالة دكتوراة، كلية التربية للبنات جامعة بغداد،1424هـ - 2004م.

[ii]انظر: منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم، ص19

[iii]هو: أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، مفسر محقق لغوي، من علماء الإمامية الأجلاء، وله تفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن). انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي،148/5

[iv]يراجع: البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي(ت745هـ)، 42/1، 45، ت: صدقي محمد جميل، ط1، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1420هـ، تفسير روح المعاني: محمود الألوسي (ت 1270هـ)،119/2، ت: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1415هـ.

[v]هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ومن أشهر تصانيفه: البحر المحيط في التفسير. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي،152/7.

[vi]هو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مفسر وفقيه ولغوي ونحوي، له تفسير: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. انظر ترجمته في: معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، 175/12.

[vii] من أصول الاعتقاد عند الشيعة الاثني عشرية، فهم يعتقدون أن الإمامة منصب إلهي كاالنبوة، فكما أن الله (سبحانه) يصطفي من خلقه من يشاء للنبوة، فإنه يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إمامًا، والإمامة متسلسلة عندهم في اثني عشر إمامًا، وكل سابق ينص على اللاحق، والأئمة الاثنا عشر عند الشيعة الإمامية هم: على بن أبي طالب –رضي الله عنه- (ت40هـ)،والحسن بن علي (ت50هـ)،والحسين بن علي (ت61هـ)، وزين العابدين علي بن الحسين (ت94هـ)، ومحمد الباقر بن علي (ت114هـ)، وجعفر الصادق بن محمد (ت 148هـ)، وموسى الكاظم بن جعفر(ت 183ه)، و علي الرضا بن موسى (ت 203ه)، ومحمد الجواد بن علي (ت 220هـ)، وعلي الهادي بن محمد(ت 254هـ)، والحسن العسكري بن علي (ت260هـ)، ومحمد المهدي بن الحسن، اختفى سنة (276هـ)، ويعتقدون أنه ما يزال حيًا، وسيعود آخر الزمان. ينظر: بين

**السنة والشيعة دراسة تاريخية- أصولية – فقهية مقارنة، ص138،137، د. محمد شريف عدنان الصواف، ط1، بيت الحكمة، دمشق – سوريا، 1426هـ- 2006م.**

**([viii]) انظر: الشيعة الاثنى عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم، ص 139-145، أ.د/محمد محمد إبراهيم العسال، ط1، جامعة الأزهر،1427هـ.**

**([ix]) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ص 361/6**

**([x]) انظر: بين السنة والشيعة دراسة تاريخية – أصولية – فقهية مقارنة، ص 284، 285**

**([xi])انظر: تفسير الألوسي 235/2، معجم القراءات القرآنية، د/ عبد اللطيف الخطيب 551/1**

**([xii]) هو: أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر، أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية (ت 148هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان،327/1.**

**([xiii]) التبيان في تفسير القرآن، 544/2 -545**

**([xiv])انظر: مختصر شواذ القرآن: ابن خالويه، ص48، مكتبة المتنبي، القاهرة، والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان ابن جني (ت 392هـ)، 272/1، ت: علي النجدي ناصف وآخرون، ط1، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1389هـ، وشواذ القراءات: محمد بن أبي نصر الكرماني، ص201، ت: د/شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان.**

**([xv]) التبيان في تفسير القرآن، 72/5**

**([xvi]) المصدر السابق**

**([xvii]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبوجعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، 18/11-20، ت: عبد الله بن عبد المحسن تركي، ط1، دار هجر،1422ه.**

**([xviii]) المحتسب لابن جني،272/1**

**([xix])انظر: تفسير روح المعاني للألوسي، 5/ 327، ومعجم القراءات القرآنية، د/ عبد اللطيف الخطيب 425/3**

**([xx]) التبيان في تفسير القرآن، 5/ 260**

**([xxi]) المصدر السابق 53/10**

**([xxii]) يراجع: الطبري 110/23، الكشف والبيان للثعلبي 5/ 69، والكشاف للزمخشري 570/4**

**([xxiii]) تفسير روح المعاني للألوسي، 5/ 327**

**([xxiv])انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص55، المحتسب لابن جني 1/ 305، شواذ القراءات للكرماني ص222، ومعجم القراءات القرآنية 474/3**

**([xxv]) التبيان في تفسير القرآن 5/ 316**

**([xxvi]) المحتسب لابن جني، 306/1**

**([xxvii])انظر: البحر المحيط 6/ 361، ومعجم القراءات القرآنية، 4 /394**

**([xxviii])التبيان في تفسير القرآن، 228/6**

**([xxix]) انظر: تفسير الطبري 460/13**

**([xxx])انظر: المحتسب 355/1، شواذ الكرماني ص255، ومعجم القراءات القرآنية 395/4**

**([xxxi])التبيان في تفسير القرآن، 228/6**

**([xxxii])انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص60، والمحتسب 322/1، وشواذ الكرماني ص235، ومعجم القراءات القرآنية 56/4**

**([xxxiii])التبيان في تفسير القرآن، 495/5**

**([xxxiv])المحتسب لابن جني، 322/1**

**([xxxv])انظر: المحتسب 188/2، شواذ الكرماني ص389، ومعجم القراءات القرآنية 350/7**

**([xxxvi])التبيان في تفسير القرآن، 8/ 384، ويراجع: تفسير الطبري، 374/20**

**([xxxvii]) انظر: تفسير الطبري 243/19، وتفسير البسيط للواحدي، 337/18، وتفسير القرطبي، 281/14**

**([xxxviii])انظر: البحر المحيط لأبي حيان، 3/ 111، وتفسير روح المعاني للألوسي، 127/2، ومعجم القراءات القرآنية، د/عبد اللطيف الخطيب 478/1**

**([xxxix]) التبيان في تفسير القرآن، 441/2**

**([xl]) المصدر السابق**

**([xli]) انظر: تفسير الطبري، 328/5**

**([xlii]) انظر: التفسير البسيط للواحدي، 184/5**

**([xliii])انظر: معجم القراءات القرآنية، د/ عبد اللطيف الخطيب 387/6**

**([xliv]) التبيان في تفسير القرآن، 512/7**

**([xlv])التقية-عند الشيعة -: الكتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين –وهم أهل السنة كما هو الغالب في إطلاق هذا اللفظ عندهم وهي إظهار مذهب أهل السنة الذي يرونه باطلًا، والتقية عندهم ركن من أركان الدين كالصلاة أو أعظم. انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، تأليف: الدكتور ناصر بن علي القفاري ج2 /433، 437، ط5، دار الرضا- المملكة العربية السعودية 1439هـ-2017م.**

**([xlvi])انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص9، ومعجم القراءات القرآنية 20/1**

**([xlvii])التبيان في تفسير القرآن، 1/ 43**

**([xlviii])انظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحيي بن زياد الفراء (ت207ه) 75/1، ت: محمد على النجاروأحمد يوسف نجاتي، ط1، دارالمصرية للتأليف والترجمة، مصر،ومعاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي البصري الأخفش الأوسط(ت 215ه)،153/1، ت: د/ هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي،القاهرة،1411هـ، ومعجم القراءات القرآنية184/1**

**([xlix])التبيان في تفسير القرآن، 436/1**

**([l])انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص28، شواذ الكرماني ص141، ومعجم القراءات القرآنية 133/2**

**([li]) أحد طرق رواية ابن وردان عن أبي جعفر المدني، انظر: النشر لابن الجزري 251/2**

**([lii])التبيان في تفسير القرآن، 3/ 297**

**([liii])انظر: تفسير الطبري 363/17، شواذ الكرماني 345، ومعجم القراءات القرآنية 303/6**

[liv] **التبيان في تفسير القرآن، 461/7**

## المصادر والمراجع:


- القرآن الكريم.

1- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، د/ ناصر بن علي القفاري، ط5، دار الرضا، المملكة العربية السعودية، 1439هـ- 2017م.

2- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي(ت1396هـ)، ط15، دار العلم للملايين،2002م.

3- البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ابتهال كاصد ياسر الزيدي، رسالة دكتوراة،كلية التربية للبنات، جانعة بغداد،1424هـ-2004م.

4- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسفأبو حيان الأندلسي(ت745هـ)، ت:صدقي محمد جميل، ط1، دار الفكر ، بيروت ، لبنان،1420هـ.

5- بين السنة والشيعة دراسة تاريخية أصوليه فقهية مقارنة،د/محمد شريف عدنان الصواف،ط1، بيت الحكمة، دمشق، سوريا، 1426هـ-2006م.

6- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت460هـ)، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

7- التفسير البسيط، أبو الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي(ت468هـ)، ت: اللجنة العلمية بجامعة الإمام محمد بن سعود،ط1، عمادة البحث العلمي جامعة الإمام سعود،1430هـ.

8- تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، ت:على عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،1415هـ.

9- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ)، ت: عبد الله بن عبد المحسن تركي،ط1، دار هجر، 1422هـ.

10- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: أحمد البردوني،وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1384هـ.

11- شواذ القرءات، محمد بن أبي نصر الكرماني، ت: د/شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان.

12- الشيعة الاثني عشرية ومنهجهم في تفسير القرآن الكريم،أ.د/ محمد محمد إبراهيم العسال،ط1،جامعة الأزهر،1427هـ.

13- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري(ت538هـ)، ط3، دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان، 1407هـ.

14- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت427هـ)، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، ط1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان،1422هـ-2002م.

15- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني(ت392هـ)، ت: على النجدي ناصف، وآخرين، ط1، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1389هـ.

16- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، أبو محمد بن خالويه النحوي(370هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة.
17- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي البصري الأخفش الأوسط(ت215هـ)، ت: د/ هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1411هـ.
18- معاني القرآن، أبو زكريا يحيي بن زياد الفراء(ت207هـ)، ت: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
19- معجم القراءات القرآنية، د/ عبد اللطيف الخطيب، ط1، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، 1422هـ-2002م
20- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المتنبي، بيروت، لبنان، 1431هـ.
21- منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم .دراسة لغوية نحوية بلاغية، د/كاصد ياسر الزيدي، ط1، بيت الحكمة، بغداد، 2004م.
22- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير محمد بنمحمد بن يوسف بن الجزري(ت833هـ)، ت: على محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتب العلمية).
23- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان(ت681هـ)، ت:إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت ، 1994م.